

مقاومة التنشئة الثقافية



﴿إِنَّ الْمُحَقّقَ لِذَاتِهِ يَتَوَافَّقُ مَعَ ثَقَافَتِهِ وَثَقَافَةِ مُجَمَّعِهِ بَطْرُقٌ عَدِيدٌ؛ وَلَكِنَّهُ يَحْفَظُ بِدَرْجَةٍ مِّنَ التَّفْكِكِ فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ، الَّتِي لَا تَتَوَافَّقُ مَعَ ثَقَافَتِهِ وَقَنَاعَاتِهِ؛ وَلَكِنْ بِشَكْلٍ مُّتَوَازِنٍ﴾

فلو نشأ شابٌ في أُسْرَةٍ تَعْمَلُ وَفْقًاً لِأَعْرَافٍ وَعَادَاتٍ وَثَقَافَةٍ أُسْرِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ مُوروثَةٍ مِنَ الْأَجْدَادِ، أَوْ مِنَ الْبَيْئَةِ وَثَقَافَتِهَا وَعَادَاتِهَا وَتَقَالِيدهَا، وَذَلِكَ بِالتَّدْخِيلِ الدَّائِمِ فِي حَيَاةِ أَبْنَائِهِمْ وَيَمْارِسُونَ عَلَيْهِمْ ضُغْطًاً لَا مُسُوْغَ لَهُ، وَمَصَادِرَةً كُلَّ آرَائِهِمْ، فَيَكُونُونَ فِي النَّهَايَةِ رَهْنَ الإِشَارَةِ فَقْطًا وَبِدُونِ وَعِيٍّ، وَهَذَا كُلَّهُ نَابِعٌ مِنْ اعْتِقَادِ الْآبَاءِ أَنَّهُ حَبٌّ وَحَرَصٌ عَلَيْهِمْ لِمُحاوَلَةِ مَعاِيشَتِهِمْ لِفَلَةٍ تَجْرِيَتْهُمْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّاَذْدِينَ ضَلَلُوا سَعْيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَدُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ (الْكَهْفُ/ 104).

وَعِنْدَمَا يَتَجاوزُ هَذَا الشَّابُ مَرْحَلَةَ الْوَصَايَا، وَيَزِدَّادُ وَعِيَّاً وَثَقَافَةً، وَيَمْيِيزُ مَا هُوَ سَلِيمٌ وَمَا هُوَ إِيجَابِيٌّ، وَمَا الَّذِي يَبْنِيَ شَخْصِيَّةَ الإِنْسَانِ وَيَصْلِلُهَا وَيُفْقِدُهَا، وَمَا يَضْعِفُهَا وَيَمْدُدُّهَا عِنْدَمَا يَتَزوَّجُ وَيَنْجِبُ يَأْخُذُ مِنْهُ تَرْبِيَّةً مُخْتَلِفَةً، فِيهِ تَوازنٌ بَيْنَ الرَّفْقِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمَزَاحِ وَإِعْطَاءِ مَسَاحَةٍ مِنَ الْحَرَّيَّةِ لِأَبْنَائِهِ، يَجِدُ مِنْ حَوْلِهِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ نَفْسَ ثَقَافَةَ الْمَاضِيِّ يَسْتَهْجِنُونَ أَسْلُوبَهُ التَّرْبِيَّيِّ المُفْسَدِ لِأَبْنَائِهِ فِي نَظَرِهِمْ، وَيَعْتَبِرُونَهُ خَرْوَجًاً عَلَى الْأَعْرَافِ.

وَمَعَ ذَلِكَ، يَطْلُبُ ثَابِتًاً عَلَى قَنَاعَاتِهِ بِتَوازِنٍ وَبِدُونِ تَصادُمٍ مَعَ ثَقَافَةَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ مِنْ عَادَاتٍ وَتَقَالِيدهِ إِيجَابِيَّةٍ، وَبِالْتَّالِي مَوْقِفَهُ يَنْطَلِقُ مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا اللَّهُ تَعَالَى بِقُولِهِ: ﴿إِلَّاَذْدِينَ

بَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ إِنْ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (الزمر/ 17).

إذاً، يجب علينا أن نحافظ على الثواب والقيم الدينية والأخلاقية والإنسانية، مع مراعاة المرونة في المتغيرات في كل زمان ومكان، يقول الإمام علي: «لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم».

وأخيراً ..

هذه بعض صفات الذين حقّقوا ذواتهم؛ ولكن هناك مَن يتصف ببعضها أو أكثرها.. ولحسن الحظ، فإن كل الناس يملكون فُرْصاً لمثل هذه الصفات عن طريق الخبرة ومحاولة التطوير بالمعرفة والفهم والوعي والرغبة والإرادة، يقول الإمام علي: «غير مدرك الدرجات مَن أطاع العادات» (أي العادات السلبية)، ويقول (ع): «غيّروا العادات تسهل عليكم الطاعات»، وكذلك ثقافة السماء تؤكّد ذلك في قوله تعالى: (إِنَّمَا يُغَيِّرُ مَا بِرْقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) (الرعد/ 11).

المصدر: كتاب تعلم فنون التواصل وإدارة الضغوط